

الدرس العاشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وغفر له:

التَّاسِعُ: مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسْعُهُ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا وَسِعَ الْخَضِرُ الْخُرُوجَ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَهُوَ كَافِرٌ.

قال المصنّف رحمه الله تعالى: «التَّاسِعُ» أي من نواقض الإسلام «مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسْعُهُ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا وَسِعَ الْخَضِرُ الْخُرُوجَ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَهُوَ كَافِرٌ» ؛ قوله رحمه الله: «مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسْعُهُ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ... فَهُوَ كَافِرٌ» هذا بيانٌ لناقض من نواقض الإسلام، ودليل هذا الناقض وشواهد كثيرة، لأنّ شرائع الإسلام التي بعث الله بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هي دين الله الذي رضي لعباده، ولا يرضى لهم ديناً سواه، ومن اختار لنفسه ديناً أو طريقةً أو عملاً غير شرائع الإسلام التي جاء بها النبي عليه الصلوة والسلام فلا يقبل الله منه عمله، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال جلّ وعلا: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال جلّ وعلا: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] . فالإسلام هو دين الله ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ ، وهو الدين الذي رضي لعباده ولا يرضى لهم ديناً سواه، ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ، وهو الدين الذي لا يقبل الله عز وجل ديناً سواه كما قال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ .

ولهذا بعد مبعثه عليه الصلوة والسلام لا يسع أي إنسان أن يتعبد لله بغير شريعته ، أو أن يعمل بأعمال ليست من شريعته؛ فشريعته عليه الصلوة والسلام ناسخة لكل الشرائع التي قبلها، وكذلك شريعته عليه الصلوة والسلام عامة للبشرية كلها ، لأنه عليه الصلوة والسلام بُعث للناس كافة، فإذا كانت شريعته بهذه الصفة: شاملة لكل خير ، وعامة لكل البشرية فإنه لا يسع أي أحد كائناً من كان أن يتعبد لله سبحانه وتعالى بغير شريعته، أو يدّعي أن له طريقةً مخصوصة غير طريقة النبي عليه الصلوة والسلام؛ بل إن كل طريق يُدّعى أنه موصلٌ إلى جنّات النعيم، منجّ صاحبه من سخط رب العالمين فهو طريق مسدود، لا يوصل إلى الجنة بل يوصل إلى سخط الله، وليس هناك

طريق يوصل إلى جنات النعيم غير طريق النبي الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وكل عمل مهما حسن في نظر صاحبه ومهما جمل في تقديره فإن الله سبحانه وتعالى لا يقبله منه ما لم يكن متبعا للنبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، ولهذا قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد))، وفي رواية ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)) ، ومعنى قوله: «أمرنا» أي ديننا وشرعنا ؛ فكل عمل ليس من شرع النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فهو مردود على صاحبه.

وثبت عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه قال: ((لو كان موسى حيًا ما وسعته إلا اتباعي)) ، فكل من وجد بعد مبعثه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا يسعه إلا أن يتبع النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فمن ادعى أن أحدا من الناس يسعه أن لا يتبع النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وأن يحتط لنفسه طريقة غير طريقته ونهجًا غير نهجه ويزعم أن ذلك يوصل إلى الله فهو كافر .

وأيضًا عيسى عليه السلام عندما ينزل آخر الزمان من السماء فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية؛ لا يحكم بالإنجيل الذي أنزل عليه وإنما يحكم بالقرآن الذي أنزل على محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، ويتبع الله جل وعلا بشريعة محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا بالشريعة التي أنزلت عليه، فبعد مبعثه صلوات الله وسلامه عليه لا يسع أي أحد كائنًا من كان مهما علا قدره وارتفعت مكانته أن يتبع شريعة غير شريعته.

وإذا كان الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه صفوة خلق الله وخيار عباده لا يسعهم ذلك ! مثل ما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((لو كان موسى حيًا ما وسعته إلا اتباعي))، أي لا يسع موسى أن يكون على شريعته التي بُعث بها؛ بل لا يسعه إلا أن يتبع النبي صلوات الله وسلامه عليه ، وموسى عليه السلام كليم الله، وهو من أولي العزم من الرسل وهم خمسة، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَمْ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧]. فهؤلاء الخمسة الذين ذكروا في هذه الآية الكريمة هم أولو العزم من الرسل، ومن هؤلاء موسى عليه السلام ، فالنبي مهما علت مكانته ومنزلته لا يسعه بعد مبعث محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أن يتبعه، وهذا واضح في قول نبينا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لو كان موسى حيًا ما وسعته إلا اتباعي))، وعيسى عليه السلام عندما ينزل في آخر الزمان إنما يعمل بشريعة محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهذه كلها شواهد ودلائل قاطعة وواضحة أن أحدا كائنًا من كان لا يسعه بعد مبعث محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلا أن يتبع شريعته. ولهذا جاء في صحيح مسلم عن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ((لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي جئت به إلا كان حقًا على الله أن يدخله النار)) ، لأنه بعد مبعثه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

لا مجال للتعبد بأي عمل حتى بالأعمال التي كانت أنزلت على النبيين من قبل شريعة نبينا صلوات الله وسلامه عليه.

بل يجب أن نعتقد أن شريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ناسخة للشرائع التي قبلها كلها، فلا عمل بأي شريعة بعد نزول شريعة محمد عليه الصلاة والسلام، وشريعته كما أنها ناسخة للشرائع التي قبله فهي باقية، فلا شريعة إلى قيام الساعة إلا هي، فليس بعده نبي صلوات الله وسلامه عليه ، ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وموته عليه الصلاة والسلام انقطع وحي السماء، فلا وحي بعد موته عليه الصلاة والسلام . لكن هناك نوع من الوحي موجود وباقي!! وهو وحي الشياطين لأوليائهم ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١] هذا موجود، وكم ضلَّ بهذا الوحي أقوام ، ولما قيل لابن عباس رضي الله عنهما إنَّ مسيلمة الكذاب يدَّعي أنه يُوحى إليه، قال: صدق، ثم تلا قول الله سُبحانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ أي صدق أنه يوحى إليه لكن هذا الوحي الذي يأتيه هذا وحي الشيطان، أمَّا الوحي المنزَّل من الله تبارك وتعالى فهذا انتهى وانقطع بموت النبي عليه الصلاة والسلام فلا وحي بعد موته صلى الله عليه وسلم.

فهذه كلها شواهد ودلائل واضحة وغيرها كثير في كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام واضحة الدلالة على أنه لا يسع أي أحدٍ كائناً من كان أن يعمل بشريعة غير شريعة النبي صلوات الله وسلامه عليه .

قال رحمه الله : «مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسْعُهُ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا وَسِعَ الْخَضِرُ الْخُرُوجَ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَهُوَ كَافِرٌ» ؛ وهذه شبهة أثارها في هذا الباب بعض أئمة الباطل ودعاة الضلال وأرباب الطرق الفاسدة المُنحَلَّة المنحرفة عن دين الله؛ التي يتعبد أصحابها بأعمالٍ ليست من شريعة الله ولا من دينه، فأثار بعض أرباب الطرق الفاسدة الضلالة المنحرفة أنَّ من الناس من يسعه أن يتعبد أو أن يأتي بأعمالٍ ليست من شريعة النبي صلوات الله وسلامه عليه ، وقالوا: مثل ما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى . فالخضر كان موجوداً زمن موسى عليه السلام والتقى به، وأتى بأعمالٍ، وكان عنده علوماً ليست عند موسى عليه السلام، وعند أيضاً موسى عليه السلام علومٍ ليست عنده، فقالوا: أنَّ من الناس من يسعه الخروج عن شريعة محمد عليه الصلاة والسلام مثل ما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى .

وهذه الشبهة الزائفة الباطلة جعلوها ثُكَّةً لهم لترويج ضلالهم وباطلهم وبدعهم ومحدثاتهم وعقائدهم الباطلة التي ليست في القرآن ولا في السنة، فأدخلوا كل باطلهم هذا تحت هذا الباب، أن من الناس من يسعه أن يخرج عن الشريعة مثل ما وسع الخضر أن يخرج عن شريعة موسى، فجعلوا أعمالهم الباطلة مماثلة لأعمال الخضر الصالحة . شتان بين الهدى والباطل، والحق والضلال، والكفر والإيمان، وشبَّهوا أئمة الضلال الذين يتبعونهم بالخضر عليه

السَّلام ، وادَّعوا لأئمة الضلال الذين يتبعونهم أنَّ عندهم علمًا لدُنْيَا ، أي يأتيهم بوحى خاصٍّ من الله ليس موجود في الكتاب ولا موجود في السنَّة، وقالوا عن أهل الشريعة المتبعين لسنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: هؤلاء يأخذون دينهم مَيِّتًا عن مَيِّتٍ، أما أئمتنا فيأخذون دينهم وحيًا من الله مباشرة، يأخذونه من اللوح المحفوظ عن الحي الذي لا يموت .

فهذه الشريعة التي يصفونها بأنها تُنَوَّلَتْ مَيِّتًا عن مَيِّتٍ، "حدثنا فلان عن فلان عن فلان عن فلان إلى الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ" ادَّعوا لأنفسهم أن لهم طريقة في تلقي الشرع من الله مباشرة بالمهاجمات والمكاشفات والوحي المباشر والقراءة المباشرة من اللوح المحفوظ، إلى غير ذلك من الكذب والافتراء والقول على الله وفي دينه وفي كتابه بغير علم، بل بالكذب والبهتان المبين؛ وترتب على ذلك فساد عريض وضلال مبين، وأضلوا كثيرًا وضلُّوا عن سواء السبيل .

وهذا كله أُتِيَ فيه هؤلاء من وحي الشيطان، لأن هذا الذي هم عليه كله من وحي الشيطان، أخرجهم بهذه الطريقة من دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى . والشيطان له طريقتان يُخرج بهما النَّاسَ عن الحق والهدى، بعد أن يعرف مَيُولَاتِ الإنسان ويُشَامُّ قلبه، ففي ضوء ذلك يحرفه عن الصَّراطِ المستقيم من أحد طريقتين: إما طريق الشهوة ، أو طريق الشبهة .

وهؤلاء ألقى عليهم هذه الشبهة فأهلكتهم وأردتهم وأضلَّتْهم عن دين الله وحرفتهم عن سواء السبيل، وجاء هؤلاء بالكلمة المشهورة عنهم " أن الدين له ظاهر وباطن، له حقيقة وشريعة"، والشريعة هي التي تُتَنَاقَلُ في الكتب، تُؤخذ من القرآن، تُؤخذ من أحاديث النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والحقيقة هذه يقولون: مثل ما كان عليه الخَضِرُ، وأنهم يسعهم ما وسع الخضر بعلوم لدُنْيَا يأخذونها من الله وحيًا مباشرة أو يُكاشِفُونَ أو يُهَاتِفُونَ بها، أو يتلقونها من اللوح المحفوظ مباشرة.

وهنا أوكد على أمرٍ لابد من التأكيد عليه؛ ألا وهو: أن هؤلاء فعلاً يسمعون هِتَافًا، وفعلاً يُجَسُّونَ بَنَزْلًا، وَيُجَسُّونَ بشيء يُلقى في صدورهم؛ وهذا كله من عمل الشيطان ﴿هَلْ أَتَبُّكُمْ عَلَىٰ مَن نَّزَّلَ الشَّيَاطِينُ﴾ (٢٢١) نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿الشعراء: ٢٢١-٢٢٢﴾، ففيه تَنَزُّلٌ، تَنَزَّلَ الشَّيَاطِينُ وتعطيهم أشياء وأمور على أنها وحي، وتهافهم بأشياء؛ لِيَضِلَّ هؤلاء أئمة الضلال، وَلِيَضِلَّ أيضًا من ورائهم أقوام وأقوام . وما هذه الطرق المُنَشَّقة الضالَّة المنحرفة إلا من زيغ الشيطان وإضلاله للناس عن سواء السبيل؛ مُلِئْتُ بالكفر البَيِّن، مُلِئْتُ بالإلحاد، بالقول بوحدة الوجود، بالاتحاد، مُلِئْتُ بالأذكار والأعمال والطلاسم والاعتقادات الباطلة، مُلِئْتُ بالتفلت من قيود الشريعة والانغماس في الذنوب والكبائر، حتى الأمور التي جاء النَّهْيُ عنها صراحةً بأدلة واضحة كالنَّهْيِ عن الزَّنا، النَّهْيِ عن شرب الخمر، النَّهْيِ عن السرقة... الخ ، جميع هذه النصوص ادَّعوا أنها هذه للمحجوبين عن الحقيقة،

أما الذين وقفوا على الحقيقة التي يدَّعون أنها مثل الحقيقة التي أكرم الله بها الخضر فهؤلاء تسقط عنهم مثل هذه الأعمال ولا تلزمهم، ولهذا وقع فسادٌ عريض بسبب هذه الشبهة ، أن من الناس من يسعه أن يخرج عن دين الله جلَّ وعلا كما وسع الخضر أن يخرج عن شريعة موسى عليه السَّلام .

قال: «مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا وَسِعَ الْخَضِرَ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَهُوَ كَافِرٌ» ؛ وهذه الشبهة والتَّنْظِير -تَنْظِير عمل هؤلاء بعمل الخضر- تَنْظِيرٌ فاسد، لأُمور وأسباب كثيرة جدًا بَيَّنَّهَا أهل العلم ، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية له أجوبة مختصرة ومُفَصَّلَةٌ على هذه الشبهة، وكذلك لغيره من أهل العلم.

ومن هذه الأجوبة التي ذكرها أهل العلم: أَنَّ شريعة موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كانت خاصَّة، وشريعة محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كانت عامَّة للنَّاس كافة، أرسله الله عزَّ وجلَّ للنَّاس كافةً بشيرًا ونذيرًا ، أرسله الله رحمةً للعالمين ، ولهذا جاء في الحديث عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه قال: ((أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يَعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي)) وذكر منها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ فِي قَوْمِهِ خَاصَّةٌ قَالَ ((وُبُعِثْتُ لِلنَّاسِ كَافَّةً)) ، فشريعته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ للعالمين، وكلُّ أحدٍ وُجِدَ بعد مبعثه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا يسعه أي شريعة إلا شريعته؛ لأنه بُعِثَ للعالمين وشريعته للعالمين، أمَّا شريعة موسى عليه السَّلام فكانت خاصة بقومه بني إسرائيل. ولهذا كما سيأتي معنا لما التقى موسى عليه السَّلام بالخضر وعَرَفَهُ بنفسه، قال: أنا موسى، قال له: موسى بني إسرائيل ؟ فمعروف في زمانهم أَنَّهُ بُعِثَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فلا يمنع أن يكون هناك شرائع موجودة في بقع من الأرض أخرى بُعِثَ بها أنبياء، أو باقين على دين أنبياء، بل ثَمَّةٌ قَوْلٌ قَوِيٌّ لأهل العلم أن الخضر نفسه عليه السَّلام نبي من أنبياء الله - والمسألة فيها خلاف معروف بين أهل العلم- لكن هناك قول قوي لجماعة كبيرة من أهل العلم أنه نبي وله شريعة خاصة بُعِثَ بها، كما أن موسى عليه السَّلام له شريعة خاصة بُعِثَ بها، والله قال في القرآن: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ [المائدة: ٤٨]، فهو له شريعة بعثه الله بها، وموسى عليه السَّلام له شرعة بعثه الله بها، فكيف يأتي هؤلاء المضلُّون ويقولون: يسعنا ما وسع الخضر؟! الخضر خرج عن شريعة موسى ونحن نخرج عن شريعة محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . فهذا من أعظم الفِرَى، وأكبر الكذب، وأفسد القياس، وهو قولٌ باطل، وهو سبب لضلال هؤلاء وإضلالهم للناس عن دين الله وعن سواء السبيل .

وقصة لقاء موسى عليه السَّلام بالخضر جاء ذكرها في القرآن الكريم في سورة الكهف، وأيضا ذكرها النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما في صحيح البخاري وغيره، يقول أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال: ((قام موسى النبي عليه السلام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: أيُّ الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم -يعني أنا أعلم الناس- فعتب الله عليه، إذ لم يَزِدَّ العلم إليه، فأوحى الله إليه أن عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك)) وفي القرآن قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠]، الخ السياق . قال: ((هو أعلم منك، قال: يارب وكيف به؟ فقيل له: احمل حوتاً في مِكتَلٍ فإذا فقدته فهو ثمٌّ- متى فقدت الحوت فهو في المكان، أو قريب من المكان الذي تفقد فيه الحوت -فانطلق، وانطلق بفتاه يوشع بن نون وحمل حوتاً في مِكتَلٍ؛ حتى كانا عند الصخرة وضعا رؤوسهما وناما، فأنسلَّ الحوت من المِكتَل فاتخذ سبيله في البحر سرباً - وهذه آية من آيات الله وجعلها الله علامةً يهتدي من خلالها إلى مكان الخضر عليه السلام- وكان لموسى وفتاه عجباً، فانطلقا بقية ليلتهما ويومهما فلما أصبحا قال موسى لفتاه: آتنا غداً لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً، ولم يجد موسى مساً من النصب حتى جاوز المكان الذي أمر به)) يعني الذي انسلَّ فيه الحوت ودخل في الماء ((فقال له فتاه: أرايت إذ أويانا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت، قال موسى: ذلك ما كنّا نبغي)) يعني هذا الذي جئنا لأجله، لأن هذه علامة وضعها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام ليهتدي إلى المكان الذي فيه الخضر، قال: ((ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصاً، فلما انتهيا إلى الصخرة إذا رجلٌ مُسَجَّى بثوبٍ، أو قال: تَسَجَّى بثوبه -يعني غطى نفسه بثوبه- فسلم موسى يعني ألقى السلام عليه فقال الخضر: وأنتَ بأرضك السلام)) بأرضك: يقصد الأرض التي فيها موسى الآن، ولهذا جاء في بعض الروايات جاء بلفظ ((وأين في أرضي السلام؟)) أو قريباً من هذه اللفظة، قال: ((أنتَ بأرضك السلام؟)) من أين يوجد السلام؟ ولهذا فيه تنبيه: إلى ضلال الناس وانحرافهم عن دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فمع وجود الخضر بينهم قال: وأنتَ بأرضك السلام؟ يعني من أين يأتي السلام؟ مشيراً إلى الحال التي عليها الناس. ((قال: وأنتَ بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسى -عرّفه موسى عليه السلام بنفسه قال: أنا موسى- قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم)) يعني موسى الذي بعث إلى بني إسرائيل؟ قال: نعم، ولهذا أيضاً يوضح لنا ما سبق، وأيضاً يوضح لنا ما جاء في الحديث، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «كل نبي يُبعث في قومه خاصة وُبعث للناس كافة» هذا مما عطاها الله واختص به نبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، الأنبياء قبله كل نبي يُبعث في قومه، إلا نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث للعالمين، بعث للناس كافة بشيراً ونذيراً .

((فقال موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال موسى: هل أتبعك على أن تُعلمني مما علّمتَ رُشداً؟)) عند الخضر علم ليس عند موسى، ومن أين هذا العلم للخضر؟ آتاه الله عزَّ وجلَّ من لدنه علماً، ولهذا من جملة ما استدل به أهل العلم على أنه نبي من أنبياء الله، ليس هناك آية أو حديث فيها التنصيص على نبوته ولكن هناك قرائن، وشواهد ودلائل يُستفاد منها ذلك، ولهذا ذكرت أن ثَمَّة قول قوي لجماعة من أهل العلم بنبوة الخضر عليه السلام

وأنه من أنبياء الله، وإذا تقرّرت نبوته بالأدلة والشواهد من الكتاب والسنة فهذا من الأمور التي يستفاد منها أيضاً في إبطال الشبهة المدّعاة ، لأنّه نبي له وحي خاص كما أن موسى نزل عليه وَحْيٌ خاص، فموسى مأمورٌ بالتزام الوحي الذي أنزل عليه، والخضر مأمورٌ بالتزام الوحي الذي أنزل عليه، والخضر عنده علم ليس عند موسى مما علمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إياه .

قال: ((هل أتبعك على أن تعلمني مما عُلِّمْتَ رُشداً؟ قال: إنك لن تستطيع معي صبراً، يا موسى إني على علمٍ من علم الله عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ))؛ وهذه الكلمة لو قالها شخصٌ بعد مبعث النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، لو قال "إني على علم من علم الله علمنيهِ الله لَا يعلمه مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" هذا يكون كافراً ويكون مُدَّعِي دعوة كاذبة فاجرة، قد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما في الصحيح: «إِن أَعْلَمَكُم بِاللّهِ وَأَخْشَاكُم لِلّهِ أَنَا» فليس هناك أحد أعلم بالله منه، فهو أعلمُ عباد الله بالله، وأعظمهم خشيةً لله وطاعةً له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فلو قال هذه الكلمة قائل أو ادّعاها مُدَّعِي فهو كاذب، وهي كفر لأن هذا تَفَلُّتٌ من دين النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ومن شريعته الناسخة للشرائع التي كانت قبل محمدٍ صلوات الله وسلامه عليه ، أما الخضر قالها عن علم من الله جلَّ وعلا آتاه الله إياه، علّمه الله إياه .

فقوله لموسى: ((إني على علم من علم الله علمنيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكُهُ لَا أَعْلَمُهُ)) ؛ هذا مما استدل به أهل العلم على أن موسى عليه السلام له شريعة وعلم من الله علمه الله إياه، والخضر له شريعة علّمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِيَّاهَا لَا يَعْلَمُهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

قال: ((إني على علم من علم الله علمنيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكُهُ لَا أَعْلَمُهُ، قال: ستجدني إن شاء الله صابراً)) ؛ وهذا فيه حرص موسى مع مكانته العظيمة وكونه كليم الله على العلم، ورحلته في طلب العلم، وحرصه عليه، وتَلْقِيهِ للعلم عَمَّنْ هُوَ دُونَهُ فِي الْفَضْلِ، لأنّ موسى عليه السَّلَامُ أفضل من الخضر، وهو من صفوة وأولي العزم من رسل الله، وهم خمسة كما تقدم، ومع ذلك رحل هذه الرحلة في طلب العلم وتحصيله على الخضر . قال: ((ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ليس لهما سفينة)) يمشيان على الساحل ليس لهما سفينة يركبانهما إلى الشط الآخر ((فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَمُوهُمَا أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعُرِفَ الْخَضِرُ -عرف أصحاب السفينة الخضر- فحملوه بغير نَوَلٍ)) يعني بدون مقابل، فحملوهما بغير نَوَلٍ، والنَوَلُ هو العطاء، ((فجاء عصفور فوق على حرف السفينة فنقر نُقْرَةً أو نُقْرَتَيْنِ فِي الْبَحْرِ)) يعني أخذ بمنقاره نقرة أو نُقْرَتَيْنِ مِنَ الْبَحْرِ الْوَاسِعِ الْعَرِيضِ ((فقال الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إِلَّا كَنَقْرَةِ هَذَا الْعَصْفُورِ فِي الْبَحْرِ)) ومعلوم أن نقرة أو مَحِيْطٌ يُغْمَسُ فِي الْبَحْرِ لَا يَخْرُجُ بِشَيْءٍ، وَلَا يَنْقُصُ مِنَ الْبَحْرِ شَيْئاً .

قال: ((فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة فنزعه)) أي حرق في السفينة حرقاً؛ جعل في السفينة عيباً، فتعجب موسى عليه السلام من هذا الصنيع، يعني هؤلاء أحسنوا إليهم ونقلوهم بدون نول ثم يعمد الخضر إلى لوح من السفينة وينزعه!! يعني يجعل في السفينة حرق.

((فقال موسى قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها؟ قال: ألم أقل: إنك لن تستطيع معي صبراً؟ قال: لا تؤاخذني بما نسيت)) يعني أن هذا الذي وقع من موسى كان عن نسيان للاتفاق الذي بينه وبين الخضر، «قال: لا تؤاخذني بما نسيت» يعني نسيت الاتفاق الذي دار بيننا قال: ((فكانت الأولى من موسى نسياناً)) يعني نسي الاتفاق الذي دار بينهما فقال هذه الكلمة عليه السلام.

((فانطلقا فإذا غلام يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر برأسه من أعلاه فاقتلع رأسه بيده)) غلام بين الغلمان جاء إليه الخضر ومسك رأسه واقتلعه من بدنه ((فقال موسى: أقتلت نفساً زكية بغير نفس؟ قال: ألم أقل لك: إنك لن تستطيع معي صبراً؟))، في المرة الثانية اعتذر كما جاء في الآية بأنه لن يعود لمثل هذا ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٦] ، يعني المرة الأولى اعتذر بالنسيان والمرة الثانية قال: اعتبرها الأخيرة إن تكرر مني لا تصاحبني .

((فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيّفوهما، فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه)) فأقامه الخضر بيده ، يعني باشر الخضر إقامة الجدار الذي أراد أن ينقض بيده، مع أن القوم لم يضيّفوهما !! ((فقال له موسى: لو شئت لاتخذت عليه أجراً)) يعني تطلب منهم أجر مقابل إقامتك لهذا الجدار ((قال: هذا فراق بيني وبينك)) قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((يرحم الله موسى، لوددنا لو صبر حتى يُقص علينا من أمرها)) يعني مزيداً من الأخبار قال: «يرحم الله موسى، لوددنا لو صبر» .

الشاهد: أن هذا الذي حصل للخضر هذا علم لدني من الله ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] أخبر الله سبحانه وتعالى في القرآن أنه آتاه علماً من لدنه ، وهو وحي من الله عليه، فهو يعمل بوحى وهذه الأعمال التي استنكر موسى ظاهرها عليه السلام لما بين له الخضر بما أوحاه الله إليه الأسباب التي لأجلها فعل تلك الأفعال، اتضح لموسى الأمر وأن أعمال الخضر كلها كانت على صواب وعلى سداد وعلى حق، لكن ظاهرها كان عنده استنكار لها واعتراض عليها، ولهذا كلم الخضر في كل موقف بما يتعلق بذلك الموقف، لكن فيما بعد لما شرح له الخضر ونبأه بالأمور التي لم يستطع عليه السلام عليها صبراً تبين له الأمر.

فالشاهد: أن الخضر عليه السلام كان يعمل بوحى مُنَزَّل من الله سبحانه وتعالى عليه مثل ما أن موسى عليه السلام كان يعمل بوحى مُنَزَّل من الله تبارك وتعالى عليه، وهذا الأمر حصل للخضر وكان في زمن موسى، والخضر توفي عليه السلام مثل ما أن أيضاً موسى توفي . وجاء في حديث صحيح صريح أنه ((ما من نفسٍ

مَنْقُوسَةً عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ -يعني في زمانه- يَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ إِلَّا وَمُتَّوَاتٍ)) ؛ فلو قُدِّرَ أَنَّ الْخَضِرَ بَاقِيًا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَزِمَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ وَأَنْ يَأْخُذَ عَنْهُ شَرِيعَتُهُ لِأَنَّهُ مِثْلُ مَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ((لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي)) ، وَمَعَ هَذَا الْحَدِيثِ وَالْأَدْلَاءِ الْوَاضِحَةِ مَعَ ذَلِكَ يَدَّعِي أَقْوَامٌ إِلَى الْآنَ أَنَّ الْخَضِرَ لَهُ وَجُودٌ وَأَنَّهُمْ يَتَلَقَّوْنَ عَنْهُ مَبَاشَرَةً!! وَهَذِهِ أَيْضًا طَرِيقَةٌ مِنْ طَرَائِقِ تَرْوِيجِ أَهْلِ الْبَاطِلِ لِلْبَاطِلِ، فَإِذَا قِيلَ لَهُ: مَنْ أَيْنَ هَذِهِ الْأَعْمَالُ؟ قَالَ التَّقِيْتُ بِالْخَضِرِ، أَوْ التَّقِيُّ أَشْيَاخَنَا بِالْخَضِرِ وَقَالَ لَنَا كَذَا وَكَذَا. هَذَا كُلُّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَإِنْ كَانُوا اتَّقَوْا بِشَخْصٍ أَخْبَرَهُمْ بِأَشْيَاءَ فَهُوَ شَيْطَانٌ مَرِيدٌ أَرَادَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَنْ يَحْرِفَهُمْ وَيَصُدَّهُمْ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ .

الشَّاهِدُ: أَنَّ مَنْ يَقْرَأُ قِصَّةَ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْقُرْآنِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَيَقْرَأُهَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ يَدْرِكُ أَنَّ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ الْخَضِرُ وَحِيٍّ مِنَ السَّمَاءِ أَقَرَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ، أَمَا بَعْدَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَمَنْ ادَّعَى أَنَّ عِنْدَهُ عِلْمٌ لَدُنِّيَّ يَسْعُهُ بِهِ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِثْلُ مَا وَسِعَ الْخَضِرَ فَهُوَ كَافِرٌ خَارِجٌ مِنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَقَرَّ الْخَضِرَ فِيمَا وَسِعَهُ مِنْ أُمُورٍ لَيْسَتْ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى وَهِيَ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ، وَأَقَرَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَمَا نَبِينَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَخْبَرَ أَنَّهُ بُعِثَ لِلنَّاسِ كَافَّةً، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَسَعُ أَحَدٌ وَلَوْ كَانَ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَسْعُهُ بَعْدَ مَبْعَثِهِ أَنْ يَتَّبِعَ غَيْرَ شَرِيعَتِهِ، وَالْخَضِرَ نَفْسَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي زَمَنِ مُوسَى كَانَ يَسْعُهُ الْخُرُوجُ عَلَى شَرِيعَتِهِ . لَكِنْ لَوْ قُدِّرَ وَجُودُ الْخَبَرِ وَبَقَاءُ الْخَبَرِ إِلَى زَمَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَبَعْدَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا يَسَعُ أَحَدٌ لَا الْخَضِرَ وَلَا مُوسَى وَلَا غَيْرَهُمَا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَصَفْوَةِ الْخَلْقِ ، لَا يَسَعُ أَحَدٌ أَنْ يَتَّبِعَ غَيْرَ شَرِيعَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

خُلَاصَةُ الْقَوْلِ: أَنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ؛ الَّذِي بَعَثَ بِهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا يَقْبَلُ دِينًا سِوَاهُ

مَهْمَا ادَّعَى مُدَّعِيٌّ وَتَقَوَّلَ مُتَقَوِّلٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] .

وَأَيْضًا أَوْكَدَ عَلَى مَا سَبَقَ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ أَلَا وَهُوَ أَنَّ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ أَصْبَحَتْ حِيلَةً مَآكِرَةً لِأَرْبَابِ الضَّلَالِ لِتَرْوِيجِ بَاطِلِهِمْ، إِمَّا بِدَعْوَى أَنَّهُمْ اتَّقَوْا بِالْخَضِرِ وَأَخَذُوا عَنْهُ تِلْكَ الْأَعْمَالِ، أَوْ بِدَعْوَى أَنَّهُمْ مِثْلُ الْخَضِرِ يَسْعُهُمْ مَا وَسِعَ الْخَضِرَ، الْخَضِرَ وَسِعَهُ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَادَّعَوْا لِأَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ يَسْعُهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَمَنْ اعْتَقَدَ لِأَحَدٍ كَائِنًا مَنْ كَانَ أَنَّهُ يَسْعُهُ الْخُرُوجَ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا وَسِعَ الْخَضِرَ الْخُرُوجَ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَهُوَ كَافِرٌ . وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ قَرَّرَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ قَبْلَهُ وَاسْتَشْهَدُوا لَهُ بِالشَّوَاهِدِ الْعَدِيدَةِ وَالْأَدْلَاءِ الْمُنْتَوَعَةِ .

وَنَقِفْ إِلَى هَذَا الْحَدِّ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.